**محاضرات في مقياس ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية/ دروس توجيهية**

**السنة الثانية ليسانس**

**الأستاذ: زازوي موفق**

**قسم العلوم الاجتماعية**

**شعبة الأنثروبولوجيا**

**المحاضرة الأولى**

**تمهيد:**

**- سنحاول في هذه المحاضرة تطبيق المنهج التجريبى في العلوم الإنسانية لنرى ما هي العوائق الابستمولوجية التي تعترض تطبيق هذا المنهج على الظواهر الاجتماعية.في علم الاجتماع مثلا و كذلك الظواهر التاريخية و الظواهر التاريخية في التاريخ و كذلك الظواهر النفسية في علم النفس و أخيرا الظاهرة الانثربولوجية و العوائق التي تعترض الباحث في الجانب الميداني.**

**لقد قلنا سابقا أن طبيعة الموضوع هي التي تفرض المنهج.**

**فالموضوع ه الإنسان بما يحمله من أبعاد:**

**- تاريخية**

**- اجتماعية**

**- نفسية**

**- أنثروبولوجية**

**ان المنهج: هو المنهج التجريبي بخطواته الكلاسيكية المعروفة و هي :**

**الملاحظة – الفرضية – التجربة – ثم القانون/ أو النتيجة**

**إن العلم اليوم يتجه إلى دراسة الحادثة الإنسانية أو الظاهرة الإنسانية و هي حادثة تنشا عن سلوك الإنسان:**

**- ما يقومون به من أعمال تؤلف تاريخهم**

**- ما ينشئونه من مؤسسات اجتماعية و من علاقات و تصرفات**

**- و ما يطرأ عليهم من انفعالات و أفكار حالات نفسية.**

**- ان مصدر هذه الحادث الإنسان: هو كائن معقد تتشابك في حياته و تصرفاته عوامل عديدة هي التي تجعل منه حادثة جديرة بالبحث العلمي.**

**- هو كائن يعيش في الطبيعة و يخضع لقوانينها و حتمياتها و يشارك الكائنات الأخرى في هذا الخضوع. قانون الجاذبية / التأثر بالمناخ... . أو ما يعرف بالحتمية الطبيعية.**

**غير أن الإنسان يتميز بالوعي:**

**- فهو يشعر بالعي بما حوله**

**- و يشعر و يحس بما يقوم به من تصرفات أعمال**

**- كما أنه لا يكتفي بالإدراك و المعرفة الشعور بالفرح أو الحزن. بل يلجأ الى الحكم على السلوك بأنه خير أو شر**

**- و من مظاهر حياة الإنسان تطلعه و ميله إلى الجمال و نفوره من القبيح و الحكم على الأشياء و لا يكتفي بذلك و إنما يسعى إلى تحقيق الأشياء الجميلة عن طريق الفن- ثم إلى جانب ذلك أن الإنسان يفكر و يتساءل عن صحة تفكيره هل هو صحيح أم خاطئ هل هو حلال أم حرام. هذه الأحكام التي يصدرها كلها تعود الى الاحتكام إلى معايير . و هذا ما يدخل تحت البحث في العلوم المعيارية و هي العلوم التي تبحث في المعايير أي تبحث فيما ينبغي أن يكون عليه الشيء. لذلك هناك فرق بين هذه العلوم و بين العلوم الأخرى و هي العلوم الوجودية هي العلوم التي تبحث فيما هو موجود أو فيما ينبغي أن يكون.**

**- الحياة الإنسانية تقوم على الاجتماع، فالإنسان ينشأ في أسرة و ينتمي إلى مجتمع فهو كائن اجتماعي يرتبط بعلاقات وثيقة مع الآخرين و يندمج مع المؤسسات الاجتماعية المختلفة و يرث الكثير من تقاليده فهو ظاهرة اجتماعية**

**- و يتميز الإنسان كذلك بقدراته على التذكر كتذكر ماضيه و لا سبيل لمعرفة و فهم هذا الإنسان الا من خلال معرفة حوادثه الماضية**

**\* يمكن القول أن هناك علوما تدرس ما ينبغي أن يكون فهي علوم معيارية و هناك علوما تدرس ما هو كائن هي العلوم التجريبية**

**- إن العلوم الإنسانية من تاريخ و علم الاجتماع علم النفس و الانثروبولجيا هي علوم تريد أن تسير على شاكلة العلوم الطبيعية التجريبية لتحقيق ما توصلت إليه من دقة و معقولية و من موضوعية من نتائج باهرة. فما هي الصعوبات التي تواجها في ذلك و كيف يمكن تجازها من قبل العلماء؟**

**أولا: إشكالية المنهج في التاريخ:**

**إن الإشكال الذي يطرح نفسه في التاريخ هو إمكانية تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر التاريخية.**

**فالمفارقة هنا تكمن في الاختلاف بين طبيعة الظاهرة التاريخية طبيعة الظاهرة الطبيعية . كون هذه الأخيرة عبارة عن شيء يمكن دراسته و ملاحظته و قياسه و التجريب عليه.أما الظاهرة التاريخية تتميز بكونها ماضية و غير قابلة للتكرار كما أنها مرتبطة بزمان و مكان معينين. هذا الى جانب أنها مرتبطة بالانسان . فالدارس و المدروس واحد على خلاف الظاهرة الطبيعية التي تكون فيها الذات العارفة مختلفة عن موضع المعرفة.**

**قبل الإجابة عن هذا الإشكال ينبغي تعريف التاريخ.**

**يطلق التاريخ على معنيين أحدهما عام و الآخر خاص.**

**فالتاريخ بالمعنى العام هو دراسة الماضي بصفة عامة**

**أما المعنى الخاص: هو البحث في أحوال البشر الماضية**

**فعلم طبقات الأرض يبحث في تاريخ الأرض و علم المستحثات يبحث في تاريخ الأنواع الحية المفقودة. أما تاريخ الإنسان: يبحث في أحوال البشر الماضية وقائعهم ظواهر حياتهم.**

**قد عرفه ابن خلدون: أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم و ما يعرض لطبيعة هذا العمران من الأحوال مثل التوحش و التآنس و العصبيات و أصناف التغلبات للبشر بعضهم لبعض، و ما ينشأ عن ذلك من الملك و الدول و مراتبها و ما ينتحله البشر بأعمالهم و مساعيهم من الكسب و المعاش و العلوم و الصنائع، و سائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعة الأحوال.**

**فالتاريخ بهذا المعنى لا يقتصر على دراسة الفتوح و الوقائع و أحوال الملوك الدول ،بل يبحث في جميع ظواهر الحياة الماضية . من سياسية و اجتماعية و اقتصادية و فنية و فكرية و دينية.**

**العوائق التي تعترض تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر التاريخية:**

**أ- الحادثة التاريخية: ماضية و ما هو ماضي غير قابل للملاحظة المباشرة. هي أول خطوة في المنهج التجريبي لا تتحقق**

**ب- الحادثة التاريخية: إذا كانت ماضية فهي حادثة لا تقبل التكرار. و بالتالي لا يمكن إعادتها بكل دقائقها و بكل جزئياتها.**

**فهي حادثة جزئية و فريدة من نوعها.فقد قيل لا علم إلا بالكليات. فلا علم إلا باشتغاله بالحوادث العامة. مثال ذلك مقتل الإمام عثمان . فلا يمكن أن يتكرر القتل فيقتل من جديد. و بالتالي ما لا يقبل التكرار يستحيل التجربة عليه. فلا علم إلا بالتجربة**

**ج- صعوبة تحديد جذور و منابت الحادثة التاريخية:**

**فالعلم الطبيعي أو الفيزيائي يعد أسعد رجل لأنه يبحث في علوم صحيحة دقيقة محكومة بالزمان و المكان و الوسط- أما المؤرخ فليس له ذلك . انه لا يستطيع أن يبدأ بيوم الحادثة 19+54 فثورة نوفمبر لها إعدادات كالمقاومات.. و المناوشات الجانبية.**

**د- صعوبة تحقيق الموضوعية: إن المؤرخ إنسان لا يستطيع التخلص من عوامله الذاتية. فالمؤرخ الفرنسي : ميشلي حاول الابتعاد عن الصحائف و الإذاعات و الأخبار و غلق على نفسه في الارشيف المتعلق بتاريخ فرنسا و بدا يكتب تاريخ فرنسا فلما انتهى من ذلك جد نفسه أنه كتب تاريخ ميشلي أي تاريخ فرنسا كما يراه ميشلي. اذن يمكن القول إن المؤرخ إنسان له دين له أفكاره و معتقداته و اديولوجيته و ثقافته و كلها عوامل تحد من تحقيقه الموضوعية.**

**فلا ننتظر مثلا من مؤرخ فرنسي أن يكتب بنزاهة حيادية عن الاحتلال الفرنسي للجزائر . لا شك أنه يسعى جاهدا للتستر عن الجرائم البشعة التي ارتكبها الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري.**

**إذا كان التاريخ يخبرنا أن فلسطين أرض عربية احتلها اليهود سنة 1948 فان كتب التاريخ عندهم تقول إن فلسطين هي ملك لليهود و هي أرض الميعاد التي وعدهم الله بها في التوراة. و البلاد العربية من النيل إلى الفرات هي في الحقيقة أرض إسرائيلية احتلها العرب. فأين الموضوعية؟**

**ه- إذا كان العلم يقرب بين العقول فان التاريخ يفرق بينهم لان الذاتية تغلب عليه هذا لأنه هناك جهات نظر مختلفة لعدم جود إجماع على ذلك.**

**و- يعتمد المؤرخ في تدوينه للحادثة التاريخية على وثائق و مستندات و آثار آراء... فعليه البحث عن الوثيقة قد يتطلب ذلك 10 / عشر سنوات مثلا . و لهذا ينبغي على المؤرخ الصبر لأنه قد يجد في آخر لحظة صحيفة أو وثيقة تاريخية قد تقلب له كل الموازين... مثال ذلك الأهرامات الكثير من الذين يعتقدون أن الأهرامات هي من صنع الفراعنة فقد أثبتت الأبحاث التاريخية و منها بعض الدراسات التي تخص الآثار كجود بقايا العظام و الجماجم التي تدل على وجود إنسان ضخم كان يعيش في هذه المنطقة طوله 6 أمتار هذا إلى جانب القران الكريم الذي يؤكد ذلك حينما يتكلم عن قوم عاد ارم ذات العماد / راجع ذلك**

**ي- الحادثة التاريخية حادثة إنسانية هادفة مرتبطة بإرادة الإنسان و حريته ووعيه و بالتالي لا يمكن التحكم فيها و إخضاعها لمبدأ الحتمية الذي يعتبر أساس الدراسة العلمية.**

**فنفس الأسباب و الشروط لا تؤدي حتما إلى نفس النتائج. فقد اعتبر كلود برنار أن أية ظاهرة لا ترتبط بشروطها على نحو ضروري فهي ليست ظاهرة علمية. مما يعني لا علمية التاريخ.**

**--\* لكن حقا هناك صعوبات تتعلق بطبيعة الظاهرة التاريخية و لا يمكن أن ننكر أن تحقيق الموضوعية في التاريخ أمر صعب ، لكنه ليس مستحيلا . فكتابة التاريخ لم تعد مجرد رواية لقصص قصد التسلية بلا نقد و لا تمحيص، بل استطاع العلماء أن يخضعوا الظاهرة التاريخية للدراسة العلمية.**

**كما لا يمكن أن يعد كل ما كتب عن الماضي هو عبارة عن أباطيل لا تصدق. بل هناك الكثير من الحوادث التاريخية التي دونها المؤرخين تمثل الصدق و الحقيقة.**

**\*- على هذا الأساس هناك من اعتبر التاريخ علما من العلوم التجريبية. يمكن دراستها دراسة علمية و يمكن بذلك تجاز عائق الذاتية و تحقيق الموضوعية انه امر ممكن ذلك أن كتابة التاريخ أصبحت خاضعة لمنهج علمي له قواعده شروطه التي تتيح للمؤرخين النقاد أن ينقلوا إلينا الماضي بأمانة و نزاهة.**

**يمكن تبرير ذلك من خلال جهود المؤرخ في تذليل الصعوبات.**

**- اذا كانت الحادثة التاريخية مرتبطة بزمان و مكان معينين و أنها لا تتكرر فذلك من طبيعتها و الا لما عادت تاريخا**

**- اذا كانت الملاحظة المباشرة لحوادث الماضي متعذرة فان المؤرخ قد يلجا الى الملاحظة غير المباشرة و هي أن يطلع على الماضي من خلال آثاره المتبقية. و هي أول ما يقوم به المؤرخ و تسمى هذه الخطوة بجمع المصادر.**

**و هي نوعان: مصادر ارادية كتبت بغرض التاريخ كالقصص الواردة في الكتب السماوية و الاحاديث النبية و مذكرات بعض القادة و النشرات الرسمية و الجرائد الصحف المجلات و المعاهدات و الخطب و النصب التذكارية و أقواس النصر.**

**أما المصادر اللاارادية فهي التي تنقل لنا شيئا عن الماضي لكنها لم تكتب لنا بهدف التأريخ و لكنها كتبت لأغراض أخرى.**

**فلو اطلعنا على الشعر الجاهلي و على كتب الأدب العربي لوجدناها تنقل لنا حياة العرب في حقبة زمنية معينة من التاريخ.**

**و يطمئن المؤرخون لمثل هذه المصادر فهي لم تكتب بغرض التاريخ و مع ذلك فهي غالبا ما تكون صادقة و خالية من الذاتية .**

**- و بعد جمع هذه المصادر الوثائق ينتقل المؤرخ للمرحلة الثانية و هي مرحلة تحليل هذه الوثائق و نقدها**

**و النقد نوعان: خارجي و باطني**

**- 1/- نقد مادي أو خارجي فهو نقد ينصب على شكل الوثيقة و على نوع الورق المستعمل في كل عصر و نع الحبر نوع الخط و أسلوب الكتابة.**

**- لقد ظل البابوات حتى القرن الخامس عشر ينازعون الاباطرة في سلطتهم الزمنية و يستشهدون بوثيقة يزعمون أن الامبراطور قسطنطين قد منحهم بموجبها سلطته الزمنية اعترافا بجميلهم في تنصيره. و لقد أثبت المؤرخ لورونزو فالا -1406- 1457- أن هذه الوثيقة مزورة لأنها بلغة و أسلوب وورق و حبر القرن الثامن أي بعد وفاة قسطنطين بخمسة قرون.**

**أما النقد الباطني فيراد به أنه يتوجب على المؤرخ أن لا يثق بظاهر القول بل يبحث في باطنه و هو لا ينزه الراوي، بل يبحث عن هويته انتمائه و سلوكه ، و حتى و ان يثبت براءته يلاحقه المؤرخ ليتحقق من كفاءته و قوة ملاحظته.**

**فاذا كان القضاء يقول: كل متهم بريء حتى تثبت ادانته، فالمؤرخ حيال ثائقه يعكس الآية: كل أثر مدان حتى تثبت براءته.**

**- أما المرحلة الثالثة و الاخيرة و هي مرحلة التركيب:**

**اذ يعمل المؤرخ على تركيب الحادثة التاريخية و ترتيب أحداها حسب اطارها المكاني الزماني و حسب أهميتها ، مع ضرورة ربط الاحداث بأسبابها كما يجب أن يكون التاريخ للماضي متسلسلا بحيث لا تتخلله فجوات . ان وجدت وجب على المؤرخ أن يملاها حسب ما تمليه عليه المعطيات و هنا يجنح المؤرخ للخيال محاولا أن يفترض أحداث و شخصيات تلك الفجوة التاريخية التي لم يشهد عليها شاهد. و اذا استحالت التجربة فبامكانه تعويضها باستخدام المقارنة التاريخية**

**\* اذن يمكن دراسة التاريخ دراسة علمية موضوعية**

**\*- لكن مهما قيل فان التاريخ مهما حال الوصل الى مرتبة العلم التجريبي يبقى بعيد المنال لخصصية حادثه. ثم لو كانت الموضوعية ممكنة في التاريخ فهذا يعني ان المؤرخين لن يختلفوا في التاريخ للماضي. لكن الاقع خلاف ذلك.**

**فقد نجد حدثا تاريخيا واحدا تتعدد حله الرويات و تتناقض . فأين هي المضوعية؟**

**- فالاختلاف المذهبي مثلا بين السنة و الشيعة يعود أساسا الى الاختلاف في الرويات التاريخية حل مشكلة الخلافة و هي قضية تاريخية.**

**و اذا كان المؤرخ مضطرا في مرحلة تركيب الحادثة التاريخية أن يلجأ الى الى الخيال، فلا شك أنه لن يكون بمنأى عن تأثير الهوى و الميل و العاطفة**

**\*\*\* يمكن القول اذن أن التاريخ علم لكن على منواله. فه علم من نع خاص . و لا نبالغ اذا قلنا أن كتابة التاريخ بوضعية أمر صعب. اذ تاجه المؤرخ صعبات و عوائق. لكن مع تقدم الدراسات التجريبية استطاع المؤرخون أن يذللوا هذه الصعوبات و يدرسوا التاريخ دراسة علمية بما يتوافق وطبيعة الحادثة التاريخية.**

**ما نخلص اليه ان المؤرخ بالرغم من الصعوبات التي تعترضه فانه يسعى جاهدا لتذليل هذه الصعوبات من خلال تشبثه بالروح العلمية و الخطات المنهجية في تمحيص الاخبار. و ذلك لا يمكن أعتبار التاريخ علما دقيقا و لكن علما على منواله.**

**و يبقى اقتراب المؤرخ من المضعية متوقفا على مدى اجتهاده في التزام الروح العلمية و تشبثه بالخصال العلمية.**

**-**